

ففي كالك داع دعا بنا فأجبتنا

وانشدني عز الدين عبدالعزيز بن سالم بن محمد الحرافي

قال انشدت لسنان صاحب الدعوة الرازية

لو كنت تعلم كل ما علم الوري طراً لكنت صديق كل العالم

لكن جهلت فصرت تحسب ان من يهوى خلاف هواك ليس بعالم

فاستحي ان الحق اصبح ظاهراً عما تقول وانت شربه النائم

هذه نموذجيات من هذه التذكرة وفيها الممتع النافع وبها حبذا لو صحت عزيمة احد

علماء مصر بنشر الموجود منها لانها اثر نفيس خصوصاً وهي مكتوبة بخط صاحبها

وفيها من الاشعار والاخبار ما يلذ ويفيد

حب الوطن

خطب ارنت لافيس من مشاهير علماء الاجتماع والتاريخ واحد اعضاء الجمع

العلمي الفرنسي في احدى المدارس الفرنسية خطبة في حقيقة الوطن قال فيها :

الوطن ارض ينزلها أناس يخضعون لنظام واحد . وقد صرفت العناية الكبرى لتأليف

مثل هؤلاء الجماعة وتحديد مثل هذه الارض . حتى انك لترى الاقاليم المتنائية التي

هي اليوم خاضعة لسلطان واحد تكاد تكون متحدة في ميولها ورغائبها ؛ بد ان كانت

من قبل مشتتة . جاء زمن كان فيه اقليم بيكارديا (من اعمال فرنسا) ابعد عن اقليم برتانيا

واقليم بروفانس (فرنسا) مما ترى عليه اليوم فرنسا بعيدة عن اميركا والمهند . ولطالما

عملت الطبيعة ثم السياسة ثم الحديد ثم النار ثم العقل والقلب قروناً عديدة حتى هيات

لنا هذه الارض التي نسكنها والسماء التي تظللنا

علمكم التاريخ كيف عمل ملوكنا لتأليف اجزاء المملكة الفرنسية فضموا اشقات

ولا يانها واحدة بعد اخرى فكانت اول صلوة بطت اقليم بيكارديا باقليم برتانيا واقليم

ناسكونيا باقليم بروفانس وغيرها . انها خضعت لملك واحد فاصبح أباً ونا بأسرهم

فرنسوين لانهم صاروا كلهم رعايا ملك فرنسا فكان بذلك اول اجتماع وطني وهو

اتحاد الجميع في الطاعة لملك واحد . فاهتم الشعب لما يصدر عن الملك من الاعمال

وراح اجدادنا يتجددون يداً واحدة في الاعمال الحربية فقدموا لذلك ما لهم ودمهم فكان

إذا كتب النصر للملك الفرنسيست تغتبط الأمة بأمرها وتسروا إذا نصبت اعلامه
تبتشس وتكثب . وتأملت العادة في النفوس بان تضطرب لأمر واحد في ساعة واحدة
فنشأ من ذلك في بلادنا شعور وطني

ثم تجلت مظاهر الاجتماع بما نتجته العتول من الاعمال فأحدثت الأمة الفرنسية
لغتها . فان كنا اليوم نتكلم بلغة هي من اجل لغات العالم فذلك لان اجدادنا قد
بذلوا كل نفس ونفيس قروناً عديدة حتى يجمعوها في هذا الجبال والتبول . فعلم
الادب هو بمنزلة الاعتراف العام في امة تودعه تصوراتها في الوجود وتصوراتها في
الانسان . كانت الآداب الفرنسية ترجماناً عبر عن فكر فرنسا واخلاقها الخاصة بها
وجعل من الجماعة التي ضمت السياسة شملهم جماعة ربطت بينهم الاخلاق
مضى زمن طويل كانت فرنسا فيه متفقة مع مليكها في الافكار وذلك لاعتراف
الفرنسيين ان الملك كان نائب الله تعالى على الارض يجب حبه وخدمته كما يجب
المولى ويطاع .

ايها الجمهوريون الصغار انه يصعب عليكم قليلا ان تدركوا هذا الشعور . ولكل
زمن اخلاقه والتأخر قد لا يعي حال المتقدم . ومن الضلال ان لا يعترف بان هذه
الاخلاق كانت فيها سلف مستحكمة شائعة كما ان من الضلال ان يحاول بعضهم احياءها
بعد ان ماتت واضمحلت .

جاء يوم على فرنسا استشاطت فيه غضباً من مليكها لانه كان يجب الخصام فتصلب
في رأيه واشتد في عناده وفي معاملتها ولكن صبر اجدادنا كان غريباً في شكله طويل
النفس من وراء الغاية . فكانت الأمة تقامي ضرورياً من سوء الاستعمال من عدم
التساوي وقلة العدل والظلم المطبق . ولم تلبث ان اقامت الحجة ولكن كلماتها ذهبت
كصخرة في واد ثم رفعت صوته بالمشكوى اعلى من ذي قبل وأخذت تنأغي بالحرية
والعدل والانسانية فكان من ذلك الثورة فسقط مع الملك طبقات الاشراف وزالت
امتيازاتهم وكانت لهم من قبل حقوق خاصة بين ظهراني الأمة فاشترك جميع الفرنسيين
على السواء في الوطن الذي اتحدت كلمته وتماسكت اجزائه وطففت فرنسا لتغاب
مباشرة واحبت فوق حبها لنفسها ما تنأغت به من العدل والحرية والانسانية ولذلك
حتى لها ان يحب ابناؤها انفسهم كما أحبوا بلادهم حباً مازج اللحم والدم . فوطنيتنا
الثورية كانت من اجل العواطف التي عرفها التاريخ .

أيها الأولاد : ليس وطننا أرضاً فقط بل هو عمل إنساني بديهي* به منذ قرون ونحن نكلمه وانتم لتناوبون العمل بعدنا . ان ما قام به اجدادنا منذ الاصل وذكرى اعمالهم وافكارهم وحركات عقولهم ولغتنا وفكرنا وكيفية فهمنا معنى الحياة مع ما خصت به ارضنا من الخصب والامراع وما تجود به علينا سماواتنا من الحسن والاحسان وما عرفت به اصقاعنا من المناظر البهجة وبلادنا الشمالية من الضباب المتكاثف والجنوبية من الصحو الممتع وبحارنا الخضراء وبحرنا الازرق — كلها ارثنا العزيز هي وطننا ابنة الطبيعة وابنة الفكر .

ولكن وطنكم ليس وحيداً بين الاوطان في هذا العالم . هناك اوطان كثيرة تحيط بكم تألفت على غير الصورة التي تألفت بها وطنكم كالمانيا او ايطاليا اللتين كان نشوءهما بيطناً وكانكلترا التي كان نشوءها مريعاً . هذه الاوطان قننت قوانينها وانشأت لغاتها وآدابها وكل منها قد ابانت عن عواطفها وافكارها في الطبيعة والانسانية كما ابنا نحن . ولكل منها افكارها التي تخالف افكارنا وتبوغها الذي لا ينطبق مع تبوغنا وكل من تلك الاوطان يحبه ابناؤه كما تحب فرنسا ابناؤها

ماذا يجب ان تكون عليه عواطف تلك الاوطان وسلوكها بعضها مع بعض ؟ هذه مسألة هي الآن مما يشغل الازهان ويهيجها ونقسم في تصورنا الافكار . فقد كان الشعور الذي تشعر به كل منها مدة قرون هو البغض والسلوك الذي تسلكه هو الاتجاه الى الحرب . والظاهر انه لم يكن يتأني للمرء ان يحب وطنه بدون ان يكره وطن غيره .

وظاهر ان الحرب لم يكن يتيسر انقائها في زمان كانت فيه التقوم غير مستقيمة على حالة واحدة بين الممالك لان هذه لم تكن بعد تألفت وعرفت لما كياناً . ولطالما كانت الحرب حادثاً يدعو الى غناء أمة ومملاً بوذي الى تحديد تجوهرها . وهكذا ربيت فينا غريزة الشدة المغروسة فكانت من موجبات بقاء تلك الممالك وذلك لان الانسانية ليست طبيعية في الناس وأصبحت الحرب من وظائف الحكومة فيولد الملوكة زعماء حرب والناس ضباطهم ومن كان ادنى طبقة منهم يختارون الدخول في الحروب ليرزقوا منها ويحترفوا بها .

ولطالما كانت الجيوش تعف على قدم الدفاع أبداً ونشبت الحرب لاستخدام تلك الجيوش وتقرينها . ولتجلى اعوام السلام كأنها اعوام فارغة على ان تلك الاعوام

الخالية كانت قليلة . ومن جملة الدواعي التي تدعو المحاربين الى اوراق الدماء قديماً كنت ترى المصلحة السياسية والكبر والتشهي والعادة هي الفاعل الاكبر فيها . وكان ذلك من الادوار الهائلة في تاريخ الانسانية ونحن اليوم نعدده من آثار البربرية وعلامت النوحش .

وخطب المشار اليه ايضاً في احدى المدارس فقال :
اذا سئلتُم لماذا يدرس لكم اساتذتكم النحو والحساب تجيبون للعال : لعلونا التكلم والحساب وهما امران ظاهرة ضرورتها . واذا سئلتُم لماذا يعلونكم تقويم البلدان تبادلون بالجواب في الحال فتقولون حتى نعرف فرنسا بلادنا ونتصور الارض التي هي بلاد البشر . ولكن ربما ارتبكتُم اذا سئلتُم فائدة تدريسكم التاريخ
ابن الاربعين في السن التي انتم فيها يبدو كأنه شيخ هرم منذ مائة سنة او مائتين او ثلثمائة واكثر . ولا شك فانكم تذكرونه ولا علاقة لكم بهم واذا كانوا هم آمنين مطمئنين في موتهم فعليهم ان يتركوا صغار الاحياء آمنين بدلاً من ان يملؤا دروس اسمائهم وقائمة اسمائهم بحركاتهم وسكناتهم وبارقام توار يخفهم وازمانهم ولكنكم ايها الابناء مخدوعون باعترافكم بان الماضي بعيد . هو قريب منا ويجاوز لنا وهاءندأينته لكم في بضع كلمات: ولد لويس الرابع عشر سنة ١٦٣٨ اي منذ ٢٦٠ سنة وانا الذي لم ابلغ سن الهرم بعد عرفت سيفي « نوفهون » رجلاً أدرك المعاصرين للويس الرابع عشر

ويدعى هذا الرجل كوكول وكثيرون ممن جلسوا الآن على هذه المقاعد يذكرون الموما اليه فقد مات سنة ١٨٥٦ في التسعين من عمره كما تجدون ذلك مزبوراً على شاهدة قبره المصنوعة من الرخام الابيض . وكانت سني اذ ذلك اربع عشرة سنة وكنت أراه كل يوم الا قليلاً وكان خال خالي الكبير شهد أموراً هائلة مدعشة فرأى لويس السادس عشر يرفع على المشقة ودستور فرنسا القديم يمزق كل ممزق وفرنسا مولعة بحياة خيالية جديدة . فأخذ يوحى بروح القرن الثامن عشر الذي تعلمت منذ ذلك ان احبه حتى في اوهامه وخيالاته لانه كان قرناً في الشقاء والبربرية وتلاوه قرن من الهناء والانسانية .

فالمسيو كوكول ولد اذاً في سنة ١٧٦٦ وبلغ سنة ١٧٧٦ سن الرشد . وفي ذلك

الزمن لتي ولا شك بعض أناس من أبناء الثمانين في نوفيون . وعليه فالرجل الذي كان في سن الثمانين سنة ١٧٧٦ قد ولد سنة ١٦٩٦ وكان في سن البلوغ عندما قضى لويس الرابع عشر نخبه سنة ١٧١٥ . وبهذا فأنتم ترون ان هذا الملك الذي يتراءى لكم انه بعيد العهد جداً قد مسمو به بآبائكم الا قليلاً

ان المائة والتسعة والثمانين عاماً التي مرت بين موته وبينكم هي مدة قصيرة من الزمن ينبغي لها ثلاثة رجال - وانا الذي أخطبكم وخالي وذلك الرجل الثمانيني اذا امسك احداً بيد صاحبه نصل الى هذا العهد ونملي هذا فليس من حاجة الى سلسلة طويلة من الرجال ليلوغ الزمن الذي جاء فيه المسيح الى العالم بل يكفي ثلاثون رجلاً بعد بضع سنين ترون يا اولادي متى انقضت ألوف من القرون ان الإنسانية تشكلكم عن الازمان القديمة . اما الآن فاننا لا نستطيع ان نقول عن رجل مات منذ امد بعيد جداً فلا حتى لكم اذا ان شيدوا عن الماضي كما يتحدثون عن امر بعيد جداً واذ كان قريباً منا كثيراً لا يجب ان يتالع احدكم لتلا يحل تلي النظر فيه قليلاً . ان هذا التالع اذا بنفكم وبه تعطيلون حياتكم بان تضيفوا ازمناً الى زمانكم كما نكم عشم فيها . نحن قلما نتم في حياتنا القصيرة ولذلك نعلم بخلود روحنا . اما التاريخ ففيه لنا ضروب من الخلود وراء حجب الماضي وبظهر لي اني بصرف حياتي في دراسته قد بلغت الآن من العمر على الاقل خمسة او ستة آلاف سنة . وانا انزه في فضاء واسع طافح بالانوار والظلمات والحركات وأنفس برئتين واسعتين

يهد ان في معرفة التاريخ شيئاً غير هذا واحسن منه في الاثر فالتاريخ هو الفارق العظيم بين الانسان والحيوان . فالكلب يجعل ما بذل من العناية الطويلة وما أثر فيه نوع التربة حتى صار كلب صيد او كلب راع . فهو لا يثقل امامه تاريخ جده من الكلب الاول جده الاعلى الى ايامنا هذه . والرجل الذي لا يصعد الى طبقة اجداده وهم في مغاورهم الاولى ليرام حيث كانوا يأتون بالصيد ويمتصون نفع العظام المكسرة يتدوم من الحجر هو كلب وزيادة . هو لا يتبع آثار الإنسانية الى الدرجة التي بلغناها من المقام الانساني . والاحساس الظاهر من تكريم الإنسانية لا يقتبس من غير التاريخ

معرفة التاريخ توضح سبيل محبة الوطن . الوطن مكان الإنسانية الذي ولدنا فيه ويمتاز عن سائر الاوطان بالطبيعة بل بالتاريخ اي بمجموع اعمال وافكار متتابعة

تألف منها ما قدر لنا من سعادة وشفاء . فعليكم ان لا تجهلوا كيف أصبحت فرنسا من اعظم الامم — ولا يكنى لان يكون المرء فرنسويًا ان يولد في فرنسا كما هو شأن اشجار الحور والصفصاف عندنا بل ان التاريخ هو الذي بطلعنا على ما قام به اسلافنا وبعثنا ما يقضي علينا القيام بعمله

فمن السهل ان يميز العمل الذي تم في خلال القرون الاخيرة . ان هذا المعاصر لـ لويس الرابع عشر الذي ذكرته لكم منذ حين كان رعية للملك كانت يعتقد نفسه — بل وكان بالفعل — سيد رعاياه ومالك ارواحهم واشباحهم فابادهم بجر به وبما اتفق على قصوره واعياده وافرجه وتركهم يعذبون في ظل ادارة ممقوتة واصكره العقول على الاغضاء عن افكارها واضطهد الوجدانات وحبس وشرد وملا سجون الباستيل بالرجال والمطابق المؤبدة على انه لم يكن رديًا كما لم يكن غيبًا لانه كان على جانب من الذكاء . ولم يكن ساقطًا لانه كان محترمًا في سره وعلى شيء من العدل . ولكن الزمن اذ ذاك كان يبيع تلك الاخلاق . وكانت كل ما يأتيه الملك يعتقد — ومعظم الشعب يوافق على اعتقاده — بان له الحق ان يعمل ما يريد بحيث انه لم يحزن الا اذا قلبت الايام له ظهر المحن ولا يتأثر وجدانه بل انه بأسف قليلًا يبدو عليه في حفلاته وهو على سرير الملك يكلم وارثه المحزون الذي دعي لويس الخامس عشر . نعم كانت تلك الاعصر عصور عدم المساواة الاجتماعية المعتدلة بدون نقض ولا ابرام . فكان بوصف الفلاحون من غير عرج في مملكة فرنسا — التي هي ضرب من جدول الايام الوطني — بانهم (وان كانوا اكثر عددًا من غيرهم فليسوا بما يجب الاحتفال به بل لنا ان نقول فقط بان منهم ثلثي الفخرايب وانهم يزرعون الارض ليغذوا المدن) واليك ايضا كيف كانوا يعرفون الاعمال الصناعية الميكانيكية بانها سافلة ساقطة . وكان الفقراء وحدهم يزرعون تحت اعباء الحكومة بأسرها وهي تطلب من الناس مالا يستطيعون ان يقوموا ببعضه وارباب الطبقات المختلفة من الاعيان سامت الملوك يرفاهيتها وهي تستند اليها ويستندون عليها وعاقبة ذلك تتفق الفقير

لكم ان نقدر ما قتنا به من الاعمال وما حدث من الفروق بين هذا العصر والعصر السالف وما اظن احداً في صحة من عقوله يزعم بان عصرنا عصر سيئات . نعم ان اصلاح لم يتم اذ لا تزال نرى الشقاء الطبيعي والادبي والظلم مستحكماً . انكم على

صغر سنكم تعرفون هذه الوبلات وكثير منكم يراها قريبة منه . فمن بيوت ضيقة
 رديئة تحوي عوامل الفناء والأسر الوحيدة العديدة التي بقيت في فرنسا تصفر ألوانها
 في الأكواخ الساكنة فيها وبتهكها السكر الذي ربما نشأ من الشقاء وربما زاده
 وأدامه وبذاء الكلام والحركات السفهية . وانكى من ذلك مشاهد اولئك المحتشمين
 الذين لا يفتأون بقلقون ويخافون الغافة وهم على طيب قلوبهم يحبون منقطعة آمالهم .
 وبين السواد الاعظم وخيار الناس من الفرق العظيم الناتج من اختلاف التربية
 ما هو معروف موصوف . فالجهل في السواد الاعظم يكاد يكون عاماً بتناول صفات
 الناس وصفات الوطن

ان ما يجب ان يحمل ايها الاولاد هو ان نتابع العمل فيما بدأنا به لنحرر المجتمع
 الفرنسي ما امكن من ضروب الشقاء والمظالم الانسانية التي لم تستأصل شأفتها
 هذا العمل شاق ولا يخلو من مخاطر وذلك لاننا نحاول للمرة الاولى ان نرفع ما
 سقط ونقوم ما انحى . وظاهر بان الناس كلهم كيفما دارت الحال لا يتدرون على
 الاضطلاع باعباء الزعامة وانه يجب شي من النظام ابدأ وشي من الترتيب وبديهي
 بان بعضهم يتساءلون عنم يقوم على هذا النظام وهذا الترتيب

لا تعجب ان ترى كثيراً من الناس وفيهم اهل الحشمة والصلاح يضطربون
 وقلقون ويشكون علينا ما نعد الامه له ونعلم به من تحسين مستقبلها . هذه الفئة
 من الناس هي التي تريد منا ان نرجع الى افكار اجدادنا واخلاقهم ولكنني لا أرى
 باي حق يقفون في النقطة الفلانية بدل النقطة الفلانية من الطريق المؤدية الى
 الكهوف ؟ التاريخ باجمعه طافح باخبار الرجوع عن التقاليد وبعبارة ثانية ليست
 التقاليد الا انتقالاً من الماضي للحاضر يأخذ منها الناس ما يريدون وما يستطيعون
 ويبدلون ما شاؤوا او يخدمون او يفيقون ما أرادوا . وما نلبد يقف في زمن معين
 الا انه اشبه بمحدود لا تتعدى .

نعم انا مدرك ما هناك من مخاوف واسمع اصوات الذعواء واشعر بأهات الاحتقاد .
 تذكر الصحف وقائع يومية محزنة وهناك الاحلام اللطيفة تعدنا بامور جميلة . ولكن
 الانسانية لم يهدأ لها بال قط . وما قط عاشت بدون شهوات واحتقاد وبدون احلام
 ومطامع . اما انا فاني معجب بما مر علي من ايام البؤس والسخط عجيبي من السكون
 الذي يتم فيه هذا العمل العظيم في العالم .

لو ذكرت لكم هنا ما حدث في هذه المقاطعة وحدها لعلال بي المطال ولطالما أصابها ما أصاب باريز نفسها . اذكروا فيها أيام سنة ١٨٤٨ والفن اليومية التي حدثت على عهد لوز فيليب و أيام الثورة والتمرد على عهد الحكم القديم عهد لويس الرابع عشر وحركات القرون الوسطى الهائلة اما اليوم فليس فيها شيء من هذا يساكر الناس مضاجعهم فينامون ملجفونهم آمنين مطمئنين

انا لا أُنَبِّأُ فلا اقول بان الدهر لنا بالمرصاد على انني لا اعتقد بالتقلبات الدائمة المحزنة فقد حدث نجاح عظيم في العقل العام . ان حق الكتابة والخطابة وحق الانتخاب قد آتت على حق الثورة . ايها الاصدقاء انكم لن تفسوا ابداً ان كل قسوة يعد جنابة في البلاد المتبعة بحرية جمهورية .

يعلمونكم في المدرسة روح التكافل والتضامن وقاعدته « اعن نفسك بنفسك » وشعاره « اعينوا بعضكم بعضاً » وهذه القاعدة هي أساس الاخاء العملي ثم تحي بعد اعمال المحسنين الشريفة اى ارادة الامة الفرنسية لتتحفظ الحياة من الامراض التي تهددها والطفولية من الاعمال وسوء التربية والعمل من الحوادث والشخوخة من الشقاء وتعطي الضعيف واسطة للمناقشة مع القوي ونقسم الاعمال العامة والتكاليف الاميرية العسكرية على نصيب العدل . وما النظام الجمهوري الا باحث عن العدل .

الا فلنكبر دائرة الرجا والآمال بحسن المآل وما الخير الا ثمرة جهادنا العظيم وسرعته أكثر مما نتصور . واذكروا ان الطريق قصيرة بين معاصر لويس الرابع عشر وبيننا فالناريخ ما خلا الفضائل التي قلتها لكم يحوي اجمل الفضائل الا وهو تقوية الامل اه

هذا ما قاله علامة الرئيس لطلبة بلاده ترجمناه لتندبر هذه الامة العربية لان الامم متشابهة في تواريقها واحوالها وليت كبار رجالنا ينزلون ننازل كبار رجال الغرب الى مخاطبة الناشئة بمنزل هذا اللسان العذب والافكار السديدة فلا خير الا في التعليم ولا تعليم الا للشبان رجال المستقبل .

